الفصل السادس

العلامة «مالك بن نبي» (1905 ـ 1973م) وفلسفته الإصلاحية والتجديدية

(رؤية تنويرية جديدة)

الفصل السادس

العلامة «مالك بن نبي» (1905 ـ 1973م)
وفلسفته الإصلاحية والتجديدية
(رؤية تنويرية جديدة)

تمهيد:

يعتبر مالك بـن نبي، من الفكرين القلائل الذين اهتموا بالبحث والتنقيب في مشـكلاتنا المعاصرة، كمشكلات النهضة، والتقدم، والحضارة.

فهـو مفكـر مهموم بمشـكلاته، سـيما أنـه المفكـر الذي عـاش في ظل الاسـتعمار وخبرة عن معايشـة، هذا فضلًا عن فكره الموسوعي، والذي ينم عن ثقافة إسـلامية رصينة ونظر فلسـفي عميق، بجانب انفتاحه على الثقافة الغربية.

لم يكـن مالك، مجرد منظر فكري أو أيديولوجية للقضايا والمشـكلات، بقـدر ما كان له هـدف وغاية أكبر مـن ذلك بكثير، فهو يهـدف من وراء فكره تغيير الواقع الاجتماعي.

لم يكن مالك يود تأسيس مذهب فكري يوتوبي مثل يوتوبيا الفارابي في (مدينته الفاضلة)، أو يوتوبيا توماس مور في العصر الحديث، إنما كان يهدف إلى تأسيس فلسفته الإصلاحية على ضوء من نظرته الواقعية لتغيير الواقع الاجتماعي، وتصحيح المفاهيم من أجل بعث الهوية العربية والإسلامية من جديد.

ومفكرنا مالك، لم يكن بدعًا في هذا المجال، فهو قد اقتفى في ذلك أثر من سبقوه، وسار على دربهم، أمثال: جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في فكرنا الحديث.

فلقد كان جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده رائدين في هذا المجال، بل نعتقد أن البدايات الأولى للفلسفة الإصلاحية في عصرنا الحديث تبدأ منهما، وإن كان هناك اختلاف بينهما في المنهج.[1]

وتجدر الإشارة إلى أن مفكرنا مالك أقام فلسفته الإصلاحية على أسس ومقومات، انطلق منها في بناء منظومته الفكرية، وهو يؤصل لهذه الفلسفة بتشييد بناء متين الأركان، حتى لا يكون عرضة للرياح والأعاصير.

وسوف نشير إلى بعض الأركان الرئيسية في فلسفته:

(1) نود الإشارة إلى الاختلاف المنهجي بين كل من الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، فبينما يؤثر الأول طريق الحماس والثورة، وإلهاب حماس الجماهير كطريق للتغيير المنشود، يؤثر الثاني طريق التربية والتعليم للأمة كطريق للتغيير، وفي ظننا أن كلا المنهجين على صواب، وخصوصًا في هذه المرحلة التاريخية الصعبة، وإن كان البعض يرى أن الطريق الثاني أجدى وأدوم.